منابع الديكتاتورية.. صدام نموذجا
أصنعته الطفولة أم صنعه حزبه وظروفه؟

سلام عبود

الدكتاتورية قدر أم حالة تاريخية؟
الدكتاتورية نزعة فردية، نفسية، أم حالة اجتماعية سياسية؟
قبل أن نجيب عن هذه الاسئلة لا بد لنا من ان نعود قليلا الى التاريخ: تاريخ الديكتاتوريات وتاريخ صدام الشخصي.

خلافا لما هو شائع عند الناس من ان الديكتاتور هو نقيض الحاكم الديموقراطي دائما وأبداً، لا بد لنا من ان نوضح حقيقة تاريخية مهمة، هي ان وظيفة الديكتاتور كانت شكلا من اشكال ممارسة السلطة في النظم القديمة، فالديكتاتور هو مفوض مجلس ممثلي الشعب في مرحلة تاريخية محددة طبقا لقوانين الجمهوريات الرومانية القديمة، وقد نصب او اختير أول ديكتاتور في روما عام ٥٠١ قبل الميلاد، وفي عام ٢١٦ قبل الميلاد اختار الشعب فابيوس ماكسيموس ديكتاتورا إبان حرب هانيبعل، اي كحاكم شرعي في نظر القانون الروماني.

فالديكتاتور كان مجرد ممثل للحكم لفترة خاصة، محدودة، يتم فيها تركيز السلطة بيد فرد او جماعة، لغرض مواجهة خطر عظيم. اي انه صيغة للحكم في زمن الازمة. ومن هذا المنطلق، كان ظهور وصعود هتلر، في نظر البورجوازيات الديموقراطية والليبرالية الاوروبية، شأنا استثنائيا عالميا وداخليا، في مواجهة الازمة الالمانية الداخلية واشتداد نضال الجماعات اليسارية الالمانية وتنامي قوة الاتحاد السوفياتي في الخارج. ولا يختلف الامر مع فرانكو، الذي قام بذبح الجمهورية الاسبانية علنا، على مسمع ومرأى اوروبا الديموقراطية كلها، فقد كان فرانكو في نظرهم حالة خاصة جدا في ظروف ازمة وطنية: تنامي خطر الشيوعيين والفوضويين الإسبان. ومن هنا نرى ان الديكتاتورية تولد في بعض النظم القديمة شرعيا في زمن الازمة، وبشكل خاص عند الحروب والتمردات الداخلية، وفي النظم البرجوازية المعاصرة كخطوة غير اعتيادية، لكنها عابرة في نظرهم، لمواجهة خطر طارئ يهدد المصالح الجوهرية لطبقات اجتماعية ونظم سياسية معينة، فالديكتاتورية الهتلرية، كان من الممكن لها ان تقوم وتظل شرعية وقانونية، حالها حال ديكتاتورية فرانكو، لو انها لم تمد أياديها أبعد مما قدر لها، وهذا الامر ينطبق تماما على نظام حكم صدام حسين، من وجهة نظر الغرب عامة، ومن قبل النظم العربية كافة.

سلالة القتلة

إن عملية تركيز السلطة بيد فرد او جماعة، التي بدأت تاريخيا شرعية، غدت بعد حين صفة سلبية، اقترنت بعملية الاستيلاء غير الشرعي (غير القانوني) على السلطة ومواقع النفوذ السياسية الاساسية.

وأشهر حوادث التاريخ وأكثرها ذيوعا قضية (اجاثوكليس) (٢٨٩-٣٦١)، حاكم سرقوسة، وأحد زعماء الاغريق والحرب الاهلية (الديموقراطيين)، الذي توج نفسه ديكتاتورا، بطريقة فريدة، وقد سجل (ميكافللي) هذه الحادثة في كتابه (الأمير) وأشاد ببراعة (الوسيلة) التي نصب فيها (اجاثوكليس) نفسه ديكتاتورا، فقد استدعى (اجاثوكليس) الشعب وزعماءه وممثلي مجالس الشعب كما لو انه يتداول في شأن عظيم من شؤون الجمهورية، وبإشارة من يده قام حرسه الشخصي بذبح الزعماء المنافسين، وبذلك توج نفسه حاكما وحيدا، ولم يأت هذا التتويج الدموي من غير مبررات توجب قيامه، فقد برر (اجاثوكليس) هذا الإجراء بالضرورة التي تمليها عليه مصالح شعبه، في حربه الفاشلة التي شنها ضد الأعداء الخارجيين!

وإذا كان (ميكافللي) قد امتدح صفة الدهاء في خطة الطاغية (اجاثوكليس) المحكمة، اي اشادته بالوسيلة التي قادت (اجاثوكليس) الى الحكم، فإنه من جانب آخر رأى ان هذه الوسيلة، ربما لا تكون انصع وأنجع وسيلة لاستمرار الحكم، فقد يتمكن الحاكم من شراء ذمم اهل القتلى وإرضائهم بسهولة، لأن بريق الذهب أثبت وأقوى في النفوس من ذكرى دماء الآباء، إلا ان الحاكم قد يخسر شرفه بسبب ذلك، وفي الحقيقة قد يخسر الحاكم الطاغية الأمرين معا: شرفه وحكمه.

لقد أضحى تعبير ديكتاتورية النقيض المباشر لمصطلح ديموقراطية، بالمفهوم الحديث. وأصبح الديكتاتور مرادفا للطاغية، سواء كان هذا الديكتاتور قائدا ثوريا كماو تسي تونغ وكيم إيل سونغ او حزبيا عسكريا كهتلر وموسوليني أو حزبيا فقط مثل ستالين وشاوشيسكو، او عسكريا محترفا كبنوشيت او من طراز الحكام اليونانيين العسكريين كبابادوبلس. إن شكل الديكتاتورية تحدده عوامل عديدة منها: ظروف النشأة، وقاعدة الحكم، والاهداف. فبعض الديكتاتوريات تكون مجردة من الايديولوجيا، ومحصورة في حب السلطة وملذات المال والبذخ والجنس كديكتاتوريات عيدي أمين وموبوتو سيسي سيكو. وقد يأخذ الحكم الديكتاتوري من الحكم الديموقراطي بعض مظاهره كوجود مجلس شعب (برلمان) شكلي، وربما وجدت انتخابات عامة أيضا، بيد ان الجوهر يظل واحداً، هو تركيز القوة والحكم في يد شخص او جماعة محددة.

منابع الديكتاتورية؟

يخلق الديكتاتور نفسه بنفسه؟ هل النزوع الى الديكتاتورية صفة نفسية، وراثية، ام اجتماعية؟ ام هو محض مصادفة يخلقها عدد من الوقائع المترابطة، يتحقق باجتماعها عنصر الطغيان؟

الذين يتحدثون عن الاستبداد الشرقي ينسبون الظاهرة الى عوامل تاريخية موغلة في القدم، وخلف هذه العوامل توجد أسباب مادية (طبيعية) وعقلية، فالفرات والنيل ويانغ تسي كيانغ تطبع حياة الشرقي بطابع الكلية، وهي التي كانت وراء فكرة الإله الواحد الأعلى، وليس فقط الحاكم الواحد الاعظم. وتنشر بعض المراجع الاوروبية الديكتاتورية على رقعة جغرافية واسعة تشمل العالم كله عدا شمال وغرب اوروبا، التي لا تنتج الديكتاتورية في نظر هذه المراجع، إلا ان الوقائع التاريخية لا تزكي ذلك الرأي تماما، فلا تنحصر الديكتاتورية في رقعة محددة، فقد عاش الانكليز تجربة الديكتاتورية من خلال حكم اوليفر كرومويل (١٥٩٩-١٦٥٨)، الذي توج نفسه حاكما وحيدا ضد ارادة البرلمان على إثر حرب اهلية. وشهدت بولندا وليتوانيا ويوغسلافيا (قبل الحكم الشيوعي) وألمانيا وإيطاليا واليونان واسبانيا والبرتغال أنواعا متعددة من الديكتاتوريات.

وهناك من يحاول ان ينظر بعيدا الى الوراء، من خلال رد المشروع العنفي الرجعي، بما في ذلك الاستبداد الديكتاتوري، الى عوامل سياسية تاريخية متراكمة، وليس إلى عوامل جغرافية ونفسية واجتماعية وسياسية آنية فحسب، فكتاب (قرن كامل من أجل اللاشيء، الشرق الاوسط العربي من الامبراطورية العثمانية الى الامبراطورية الاميركية) للمؤلفين جان لاكوتير وغسان تويني وجيرار خوري، يحاول البحث عن الراهن العربي من خلال متابعة عوامل موت مشروع النهضة العربية. ويمهد الكتاب لظهور السؤال الاكثر حيوية: (كيف أنتج مشروع النهضة العربية اشخاصا من نوع بن لادن والظواهري وصدام حسين (هاشم صالح: الشرق الاوسط ٢٠٠٣/٦/١).

وصدام حسين هنا، حاله كحال ابن لادن، يمكن ان يكون جزءا من نتائج فشل مشروع النهضة العربية، الذي قاد في نظر مؤلفي الكتاب الى اللاشيء. وفي واقع الأمر ان (اللاشيء) نتيجة ذات قيمة أعلى مما تركته تجربة صدام حسين التدميرية العابثة، الممهورة بالجهل والعنف والصلف.

أما في كتب الأدب والسيرة الشخصية (غير المؤيدة لصدام)، فإن صدام حسين مشروع ديكتاتوري فطري، فقد تم تصويره على انه ديكتاتور جاهز الصنع منذ الطفولة. ففي كتاب (عالم صدام حسين) الصادر عن دار الجمل، يظهر لنا الديكتاتور طفلا مهملا، منبوذا، يتسلى بملاعبة العقارب وبالنوم في آبار مظلمة يداعب في حندسها خيوط العناكب. ومثل هذه الصور ظهرت في صفات صدام حسين الطفولية التي رسمها (كون كولاج) في كتابه (صدام... الحياة السرية). فقد اظهر صدام طفلا شريرا يتسلى بتسخين قضبان حديدية يبقر بها بطون الحيوانات، ولا يتوانى عن وضع الأفاعي في جيوب المعلمين الذين لا يكن لهم الود. ومثل ذلك، ولكن على نحو أقل وحشية، نجده في كتاب المذكرات (دولة الاذاعة)، الذي كتبه ابراهيم الزبيدي صديق طفولة صدام. والزبيدي بعثي قديم، يعمل حاليا مع القوات الاميركية في مشروع اعادة الديموقراطية للعراق، رافق جزءا مهما من طفولة صدام وفتوته وشاركه في السراء والضراء، وكان شاهدا على أعمال صدام اليومية الصغيرة: النشل، السرقة، الاعتداء، وصولا الى أول عملية اطلاق نار، ثم أول عملية قتل فعلية تسجل على ذمة صدام، وهي قتل الحاج سعدون الناصري أحد القياديين الشيوعيين في تكريت، بتكليف من خاله طلفاح. وعلى الرغم من ان الصورة التي رسمها الزبيدي لصدام لا تطابق الصور الشائعة عن الولد الانطوائي الغارق في الوحدة والحزن، إلا ان الزبيدي شريك صدام في عبثه وجده الطفولي وصل الى النتيجة ذاتها: صدام حسين ديكتاتور جاهز منذ الطفولة. يقول الزبيدي ان نظرية صدام في الحياة هي (انه لا يعتبر نفسه خاطئا او معتدى عليه، حتى لو قتله (يتحدث الزبيدي عن معلم كردي اعتدى على صدام بالضرب فأطلق صدام النار على شقيق المعلم) او قتل اخاه البريء بهزاد. إنها خطيئة في نظر السلطة والمحكمة والقانون وحسب، وهذه كلها مؤسسات وضعية مستحدثة من اختراع الانسان، والحقيقة هي ان القدر وضعه في طريقي ودفعني الى قتله او قتل اخيه لحكمة لا يدركها عقل إنسان... وحتى لو سرق احدنا من مال غيره فهو لن يكون مرتكب خطيئة بل ما اخذه هو رزقه الذي أراد القدر ان يأتيه بهذه الطريقة، والدنيا كلها منذ بدء الخليقة تسير بهذه الصيغة، قوي وضعيف، شجاع وجبان، غني وفقير، سادة وعبيد، قادة ورعايا). ويصل الزبيدي إلى خلاصة عقلية تقول: (وحينما كبرنا وحدث ما حدث بدأت ادرك ان تلك الفلسفة المنحرفة هي التي تتحمل وزر الدماء البريئة التي أهرقها ببرودة أعصاب وراحة ضمير، فهي التي صنعت منه ما أصبح عليه). أي أن نظريات طلفاح (المنحرفة) كانت سببا في صناعة الديكتاتور. وذلك امر لا يخلو من الصحة، لكنه يخفي ويستر قدرا عاليا من بشاعة التاريخ الشخصي لصدام وبشاعة التاريخ السري والعلني للبعث وللبعثيين. ومن هنا أرى ان صدام حسين، في مخيلة العراقيين جميعا، مخلوق ديكتاتوري، صنعته الطبيعة منذ الطفولة.

طلفاح أم العقارب هي السبب؟

ربما تكون طفولة صدام المعقدة وظروف نشأته قد رسمت لنا تلك الصورة ولونتها بألوان ديكتاتورية، إلا ان صفات صدام تلك لم تكن، في نظر علم النفس، ذات قيمة واقعية ما لم تجد تربتها الملائمة التي تتفتق فيها. لذلك يرى البعض ان المشروع البعثي. العراقي خاصة. بدءا من تجربة مقاومة سلطة عبد الكريم قاسم، ثم مجيء البعث وسقوطه السريع عام ١٩٦٣، وتعاقب حكومات سريعة هشة، وطابع حزب البعث وظروفه الداخلية الخاصة. مهدت كلها لجعل هذا الطفل البائس اللاعب بالعقارب طاغية ميت الضمير. ولهذا السبب أرى شخصيا ان تقييم عبد الأمير معلة لشخصية روايته (الأيام الطويلة)، رغم فساد محتواه، كان أكثر انسجاما، وأكثر اخلاصا لشخصية صدام الحقيقية وللمشروع البعثي، مقارنة بتقييم البعثيين الذين خرجوا على صدام وسعوا الى خلق فجوة عقلية وتاريخية بين نشوء وتكون الديكتاتور الطفل وخروج الديكتاتور كامل النضج من قمقم البعث. يقول معلة عن صدام: (انه البطل الذي لا ينفصل تاريخه الشخصي عن تاريخ السنوات العشرين الاخيرة من نضالات حزب البعث) (سيناريو الأيام الطويلة ص ٧). اي بوضوح تام، ما كان لصدام الديكتاتور ان يخرج من جسد الطفل اللاعب بالعقارب إلا في ثياب البعث. لقد كان عبد الأمير معلة صادقا الى حد بعيد في رسم اكذوبته البطولية!

ولكن أكانت طفولة صدام ونشأته هي العامل الحاسم في جعله ديكتاتورا، ام ان العامل السياسي هو الذي خلق من هذا الطفل المنبوذ البائس ظالما، عظيم الطغيان؟

ليس جميع الذين رصدوا حياة صدام حسين وصلوا الى ما وصل إليه الكتّاب الذين عرضتهم سابقا، فالكاتب مارك بادون يرى غير ذلك في كتابه (قصة طاغية)، فالكاتب يعتقد بوجود (تغيير دراماتيكي) في شخصية صدام حيّر عددا كبيراً من المراقبين الأجانب، و(حيرت تصرفات وأفعال الديكتاتور العراقي حتى خبراء علم النفس).

بيد اننا لا نجد مثل هذه الحيرة عند العراقيين، سواء كانوا علماء نفس ام علماء كلام، إذ يصر حتى العراقيون الذين قابلهم مارك بادون على (ان الامر لا يتعلق بتحول في شخصيته بقدر ما هو قسوة كانت فيه منذ الطفولة). وأمام هذا الاشكال وضع بادون السؤال التالي: أكانت فترة (العقلانية) التي تمتع بها صدام تخفي وراءها شخصية ديكتاتورية لا ترحم، ام انه تغير مع مرور الوقت؟ ويجيب بادون: (في اعتقادي ان الفرضية الثانية هي الصحيحة، اي ان السلطة هي التي افسدته). وطبقا لذلك يرى مارك بادون (لو لم يستول (صدام) على هذا القدر الهائل من السلطات فلربما ظل رجلا معقولا). وبمعنى أكثر دقة: إن (بروز سلطوية صدام وماسوشيته لم يكن حتميا). ورغم منطقية محاججات بادون، إلا انها، للاسف الشديد، لا تجيب عن جوهر المسألة: لماذا استولى صدام على هذا القدر الهائل من السلطات؟ وما الذي جعل سلطوية صدام و (ماسوشيته)(!) امراً واقعيا في المجتمع العراقي؟

ان أبرز نقاط الضعف التي رسمها بادون لصدام هي تقديره الايجابي (لمرحلة العقلانية!) في حياة صدام، وهي المرحلة الممتدة من قيام ثورة ١٩٥٨ حتى بداية مرحلة حكم البعث الثانية، حيث يرى بادون (كثيرون تحدثوا عن اعجابهم بذكاء وانفتاح عقلية صدام في ايام الشباب حينما كان ثوريا اشتراكيا). ويضيف راسما صورة خلابة لصدام المثقف، فهو (قارئ نهم، تشمل قراءاته كل المجالات من الفيزياء الى الرواية وله اهتمامات واسعة وولع خاص بالتاريخ العربي والعسكري)، اضافة الى ولعه بسيرة حياة القادة. وعند تمحيص هذا الجزء الزائف من شخصية صدام نجد أنه رسم بقلم اشخاص معروفين بولائهم السابق للديكتاتور: وفيق السامرائي وسعد البزاز، ابراهيم الزبيدي اضافة إلى عبد الامير معلة في رواية (الأيام الطويلة) وغيرهم، وهي صورة تطابق تطابقا تاما ما رسمه صلاح عمر العلي لصدام حسين في مذكراته الشخصية. (الحياة ٧ آذار/ مارس ٢٠٠٣)، وهي تطابق ايضا المشروع البعثي الجديد، كما تراه الجماعات (البعثأميركانية) الآن. إضافة الى ما يعرف ببعث ما بعد صدام، اي البعث، ولكن من دون ديكتاتور اسمه صدام. فعند ضم ملاحظات البعثيين السابقين الى بعضها نجد أنهم يجمعون على ان النشأة الاولى لصدام هي التي زرعت بذرة الديكتاتور فيه، فقد كان ديكتاتورا مؤجلا في نظرهم، أو في أضعف الأحوال، كان مشروع طغيان. ويشترك في هذا الرأي اولئك الذين جعلوا من صدام ضحية لفلسفة طلفاح (القدرية)، (المخربة) كإبراهيم الزبيدي، او الذين رأوا فيه ضحية للفقر واليتم والحياة العائلية الصعبة وقتل العقارب وبقر بطون الحيوانات، او ضحية لاغراء السلطة كما يؤكد صلاح عمر العلي. فالجميع هنا يحاول القفز على مرحلة (العقلانية) و(الثورية الاشتراكية)، اي مرحلته البعثية ودورها في صنع تاريخه الدموي، وهذا هو سر الحيرة التي وقع فيها (بادون) وأصدقاؤه علماء النفس الذين ادهشتهم تحولات صدام، والذين افترضوا او توهموا وجود حقبة (عقلانية)، (ثورية اشتراكية) سبقت خروج صدام على الملأ ديكتاتورا.

وفي حقيقة الامر أضحى صدام مشروعا ديكتاتوريا من خلال مشروع البعث الدموي، ولم تكن هناك تغيرات (محيرة) في تطور سلوكه، لكن هناك تغيرات في طريقة سير المشروع البعثي، الذي حقق صدام به ومن خلاله مشروعه الديكتاتوري الشخصي.

فقد يكون لفترة الطفولة أثر في تكوين صدام اللاحق، بيد ان هذا التكوين ما كان له ان يتحقق ما لم يجد إطاره السياسي والعقلي والاجتماعي الملائم، وقد وجد صدام ذلك الإطار في مشروع البعث العراقي السياسي. إن ديكتاتورية صدام، حالها كحال ديكتاتورية هتلر، جزء من مشروع سياسي، وما من سبيل الى درء مجيء ديكتاتور مماثل، ما لم يتم ردم المنبع السياسي الذي يولد منه الديكتاتور القادم.

لذلك، فإن وضع صدام حسين خارج المشروع البعثي، وخارج المشروع القومي (ولا اقصد مشروع القومية العربية، بل أعني رغبات بعض الحكومات والقوى السياسية العربية في وجوده والافادة من جهله وتهوره)، والأهم خارج المشروع الدولي، لم يكن قادرا على انجاب ديكتاتور على هذا القدر من القسوة والفظاظة، وعلى هذه الدرجة من البأس وطول فترة التحكم بالناس.

وحتى ذلك لم يكن كافيا لانتاج ديكتاتور كصدام. فإلى جانب العوامل السياسية والاجتماعية والتاريخية والشخصية يحتاج الطغيان الى معاونين مباشرين لتحقيقه وتنفيذه، وطغيان واسع وطويل كطغيان صدام حسين تطلب وجود جيش كبير من المعاونين ميتي الضمير، جيش من الوشاة، والأدباء والمثقفين المزورين، وقادة فرق الاعدام، والمخبرين، وجنود الدفاع والهجوم، وايديولوجيي ومنظري الخراب والقوة، وحتى المبوقين والطبالين. وأكاد أجزم فأقول حتى ذلك كله لم يكن كافيا لانتاج ديكتاتور من طينة صدام حسين. فإضافة الى ذلك كله تطلب ظهور صدام وجود مناخ سياسي وقانوني ونفسي واجتماعي يجوز الطغيان ويسمح بظهوره، كعامل من عوامل صناعة القرار السياسي والاجتماعي.

لقد سقط صدام، ولكن هل سقطت معه نزعة الديكتاتورية، وهل قامت إمكانية واقعية لتتجفف منابع ظهورها؟

من هو المؤهل للقيام بتلك الخطوة. وما عوامل قيام مثل هذه الإمكانية؟

تحديات بوش في الفترة الرئاسية الثانية

روبن رايت

خلال الشهرين القادمين، سيواجه الرئيس الأمريكي تحديات صعبة في أنحاء العالم. وزادت صعوبتها نتيجة كارثة الأمواج القاتلة في آسيا.، وسيكون لهذه التحديات آثار بالغة الأهمية على الزخم الذي سيتمكن من توليده لدعم أجندته الطموحة في فترته الرئاسية الثانية. ولم تعد هذه التحديات تقتصر على التوصل إلى طريقة لتحقيق الأهداف السياسية، والدبلوماسية الكبيرة، بل تعدّت ذلك إلى إيجاد الموارد اللازمة، للوفاء بالتزامات الولايات المتحدة الخارجية. "لا شك أن إدارة بوش ستواجه تحدياً كبيراً فيما يتعلق بالميزانية"، قال السيناتور الجمهوري تشك هاغل.

فإلى جانب تكاليف المساعدات لضحايا الأمواج العاتية في آسيا، ستطالب الإدارة بـ ٧٠ مليار دولار أو ٨٠ مليار دولار من أجل العراق. وهذا يعني ارتفاعاً كبيراً في ميزانية الدفاع، ولا يمكن للإدارة أن تنفذ هذا، وفي نفس الوقت، تنفذ التخفيض الضريبي وإصلاح نظام الضمان الاجتماعي دون أن تدفع ثمن ذلك.

الانتخابات في الشرق الأوسط، فضلاً عن رحلة بوش إلى أوربا ستولّد الزخم المطلوب.

وسيكون لانتخابات المنطقة (في العراق وفلسطين) تأثير كبير على سير عملية السلام في الشرق الأوسط وعلى استقرار العراق، مما سيمكن الإدارة الأمريكية من وضع استراتيجية للانسحاب من العراق.

ولكن على جورج بوش أن يوضح ما يعنيه بـ "دولة فلسطينية"، كي يزوّد الرئيس الفلسطيني المنتخب بشيءٍ ما يعمل عليه لمواجهة الإرهاب والتوصل إلى اتفاق على طاولة المفاوضات، كما على بوش أن يعمل مع إسرائيل كي نضمن ألا يقتصر ما تفعله إسرائيل على انسحابها من قطاع غزة.

في العراق، يمكن للعملية السياسية التي تبدأ بالانتخابات أن تعزّز سياسات بوش أو تزعزعها. قد يكون ما يجري بمثابة لحظة تاريخية في الشرق الأوسط، إذ تتمكن حقاً من كسر حلقة الديكتاتوريات هناك والقضاء على الإرهاب والتطرف، ثم خلق أنظمة معقولة وقابلة للاستمرار في المنطقة. أما إذا اتخذت الأحداث مساراً سيئاً، فستؤدي إلى نتائج مختلفة تماماً. وعندها سنحتاج إلى إعادة التفكير في الاستراتيجية العسكرية وعدد القوات ونقوم بكل ما هو ضروري. ولكن سيجعلنا ذلك منشغلين طوال العام القادم بالعراق، وسيجعل ذلك من الصعب تحقيق أي تقدم على الجبهات الأخرى.

وأثناء رحلة بوش القادمة إلى أوروبا، سيواجه تحديات صعبة تتمثل في استعادة الدعم الذي فقده بسبب اجتياح العراق. وإذا لم يتمكن من كسب هذا الدعم لسياساته، سيؤدي الخلاف الذي سينجم عن ذلك هزيمة هذه السياسات حتى لو عجز أعداؤها عن هزيمتها.

القادة الأوروبيون متحمسون للتعاون في مجال عملية تحقيق السلام في الشرق الأوسط، أما فيما يخص العراق فلديهم شكوك كثيرة. وسيكون على بوش العمل الجاد لتبديد هذه الشكوك.

لم يعد بوش يتمتع بالمرونة التي كانت له قبل حرب العراق، فالمعارضة الواسعة لمبادرات القيادة الأمريكية وضعف تأثير الولايات المتحدة في أوربا وآسيا والشرق الأوسط وعدم القدرة على خلق تحالف قوي، كل ذلك عزز الشكوك في صدق الولايات المتحدة وقدرتها.

السيد بوش سيلتقي بالرئيس الروسي بوتين أيضاً في محاولة لمعالجة الصلات الأمريكية المعقدة مع روسيا. بالنسبة للسيد بوش، فإن التحدي الذي تمثله روسيا يشبه تحدي التعامل الأمريكي مع الصين بعد مذبحة ساحة تيانانمين، أي: كيف تتعاون في مجال السياسة الخارجية مع بلد من البلدان حين لا يعجبك ما يجري داخل هذا البلد. وهذا التوتر بين الولايات المتحدة وروسيا سيستمر طوال الفترة الرئاسية الثانية للسيد بوش.

ترجمة: نوال لايقة